درس بعنوان: تفسير سورة الكوثر

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فقد مضى معنا تفسير سورة الكافرون واليوم نتعرض لتفسير سورة الكوثر.

هذه السورة لها أسماء من أشهر أسمائها الكوثر وقيل من أسمائها ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وحكى بعضهم أن من أسمائها النحر، أما هل هذه السورة مكية أم مدنية؟ فالجمهور على أنها مكية ومن قال بأنها مكية فقد نظر إلى سبب نزولها وإلى موضوعها، أما سبب نزولها فقد قيل إنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وقيل نزلت في أبي جهل وقيل نزلت في العاص بن وائل وقيل نزلت في كعب الأشرف لما قدم مكة، وهؤلاء وصفوا النبي ﷺ بأنه الأبتر أي الأقطع الذي لا عقب له فنزلت هذه السورة، وهؤلاء الذي قالوا بأنها مكية نظروا إلى موضوعها فقالوا إن موضوعها جاء في آخرها ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ففيه الرد على الطاعنين في النبي ﷺ والمبغضين له، وقيل إن السورة مدنية ومن قال بهذا فقد اعتمد أو استند على ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك أنه قال بينما النبي ﷺ معنا إذا أغفى إغفاءة فلما أفاق ضحك وقال: ((نزلت علي سورة آنفًا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل عليه خير كثير وهو حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) ووجه استدلالهم بهذا الحديث على أن سورة الكوثر مدنية أن أنس بن مالك رضي الله عنه راوي الحديث أسلم في صدر الهجرة ولهذا توسط بعض أهل العلم وقال بأن سورة الكوثر نزلت مرة في مكة ونزلت مرة في المدينة.

ما موضوع هذه السورة؟ هذه السورة موضوعها بشارة النبي وتسليته والرد على الطاعنين فيه والمبغضين له ﷺ.

تفسير هذه السورة على وجه الإجمال ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ خطاب للنبي ﷺ وبشارة له بأن الله تعالى أعطاه الخير الكثير.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ﴾ أمر للنبي ﷺ بأن يصلي وينحر لربه وحده لا شريك له.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي إن مبغضك هو الأبتر أي مقطوع الذكر والخير.

بعد ذلك نتكلم عن لطائف هذه السورة، هذه السورة فيها لطائف عظيمة وإشارات جليلة، **اللطيفة الأولى** أن الله عز وجل افتتح هذه السورة بقوله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ إنا وإنا الضمير هنا للتعظيم وإلا فإن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولهذا نظائر في القرآن قال عز وجل ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح:١] وقال سبحانه ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١] وقال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] والله عز وجل مستحق لهذا التعظيم فهو سبحانه من أسمائه العظيم وهو موصوف بالعظمة وهو عظيم في ذاته وعظيم في أسمائه وعظيم في صفاته وعظيم في أفعاله جل وعلا وتقدس.

اللطيفة الثانية قوله إنا هذا للتوكيد لخبر إعطاء النبي ﷺ فهو على هذا حق ويقين، فالنبي ﷺ حين نزول هذه السورة على القول بأنها مكية كان في كرب وشدة وضيق ومحنة فناسب توكيد الخبر بإنا لتحقيق وقوعه.

اللطيفة الثالثة قوله سبحانه ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ جاء سبحانه بالفعل الماضي لتحقيق تحققه وإنفاذ وعده وعطاء الله عز وجل لا يقدر أحد على منعه ولا يستطيع أحد على دفعه، وفي البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال في دعائه: ((لا مانع لما أعطيت وفي القرآن)) ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢] ولهذا يؤمن العبد ويوقن بأن ما أراده الله عز وجل به من الخير والإعطاء فإنه لا يستطيع أحد من البشر رده ولا أحد من الخلق على دفعه.

اللطيفة الرابعة كاف الخطاب في قوله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ وفي قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ وفي قوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ المقصود بهذا هو النبي ﷺ إشارة لعظم مكانته وعلو منزلته مع الإيحاء بالتودد إليه والتلطف معه خاصة في مقام الإعطاء ومرتبة الحفظ من الأعداء.

اللطيفة الخامسة قال تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ ولم يقل آتيناك لأن في الإعطاء معنى التمليك وهذا تراه واضحًا في سورة ص لما سأل سليمان ربه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ [ص:٣٥] فقال الله عز وجل بعد أن وهبه ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٩] والإيتاء قد ينزع من العبد كما قال عز وجل ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران:٢٦] أما الإعطاء فلا ينزع ولا يرجع وفيه.

اللطيفة السادسة قوله سبحانه ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ المعطي من أسماء الله تعالى كما في الصحيحين ((من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين والله المعطي و أنا القاسم)) وعطاء الله تعالى لا راد له ويسع كل أحد ولا يقدر أحد من البشر على سلبه، أما أن عطاء الله لا راد له فالله عز وجل يقول ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢] أما أن عطاء الله يسع كل أحد فكما قال سبحانه ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠] أي أن عطاء الله تعالى يشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر وأهل الدنيا وأهل الآخرة، أما أنه لا يقدر أحد على سلب هذا العطاء فقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

(لا تحمدن أحدًا على فضل الله ولا تذمن أحدًا على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه إليه حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره) وكلام ابن مسعود رضي الله عنه حقيق بأن يكون نصب عين المسلم لأنه يورثه الرضا والقناعة واليقين بوعد الله تعالى.

اللطيفة السابعة قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ عطاء الله تعالى لا حدود له ولا منتهى له وتأمل في هذا حديثين تكشف لك شيئًا من عطاء الله تعالى وتبين لك عظمته وتوضح لك سعته، أما الحديث الأول فهو ما جاء عند مسلم في صحيحه في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول: ((لو أنكم وآخركم وإنسكم وجنكم وقفوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد أو كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئًا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، زاد أحمد ذلك لأني جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئًا فإنما أقول له كن فيكون)) الحديث الثاني الذي يبين لك سعة عطاء الله تعالى وعظمته ما جاء في صحيح مسلم أيضًا من حديث المغيرة بن شعبة أن موسى عليه السلام قال: ((ربي ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال الرب جل جلاله هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة فيقول: كيف أدخل وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقول الرب جل جلاله للعبد أترضى أن يكون لك ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول العبد رضيت ربي فيقول الرب ولك مثله ومثله ومثله ومثله فيقول العبد في الخامسة رضيت ربي، فيقول الرب هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك)) هذا في أدنى أهل الجنة منزلة أما أعلاهم منزلة فقال موسى للرب: ((وما أعلاهم منزلة؟ فقال الرب جل جلاله: أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر)) وانظر في هذا إلى قوله عز وجل عن عطائه في الجنة ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] يعني غير مقطوع.

اللطيفة الثامنة عطاء الله مبذول ونواله ممنوح وفواضله معروضة ومنحه جارية وفيوضاته ممدودة، في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وغيرهما أن النبي ﷺ قال ((ينزل الرب تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول هل من سائل فأعطيه هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له)) وانظر أيضًا إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري ((من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بأحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)) وإذا كان عطاء الله مبذولًا ونواله معروضًا فما أعظم خسارة من حرم منه وقد جاء عند أحمد في دعاء النبي ﷺ ((وأعطنا ولا تحرمنا)).

اللطيفة التاسعة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر على صيغة فوعل من الكثرة تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية وبعضهم قال المفرط كثرة فالرب أعطى نبيه الخير الكثير كثرة متناهية مفرطة، وما المراد بالكوثر؟ اختلف أهل

العلم في المراد بالكوثر وبلغت الأقوال في ذلك ما يقرب من عشرين قولًا بل بعضهم حكى ستة وعشرين قولًا، فقيل هو نهر في الجنة وقيل هو حوض القيامة وقيل الإسلام وقيل القرآن وقيل النبوة وقيل كثرة الأصحاب والأتباع وقيل رفع الذكر إلى آخر ما حكي في ذلك من الأقوال، وأولى هذه الأقوال أنه الخير الكثير ومنه نهر الجنة والحوض يوم القيامة، وهذا ما اختاره ابن عباس رضي الله عنه في البخاري فإنه فسر الكوثر بالخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه، قال أبو بشر لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أن الكوثر نهر في الجنة، فقال: سعيد بن جبير النهر الذي أعطاه الله لنبيه من الخير.

اللطيفة العاشرة سلى الله نبيه وسرى عن رسوله لما وعده بهذا الوعد العظيم، وكان إذ ذاك في مكة يعاني صنوف البلاء وشدة الإيذاء، وهكذا المؤمن إذا ضاقت عليه الحيل وانقطعت به السبل وجفاه القريب وتغير عليه الحبيب وطمع فيه الدنيء وتجرأ عليه الصفيق وتخلى عنه الصديق، فعليه أن يتذكر وعد الله تعالى بالعطاء للمؤمنين وكف أذية المبغضين.

اللطيفة الحادية عشرة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ في هذه الآية إشارة إلى عظم المعطي ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وهو الرب تبارك وتعالى وإشارة إلى عظم المعطى وهو النبي ﷺ وهو المشار إليه في كاف الخطاب إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ وأيضًا في الآية إشارة إلى عظم العطاء وهو الكوثر أي الخير الكثير.

اللطيفة الثانية عشرة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ عطاء الله لنبيه ﷺ يشمل عطاء الدنيا والآخرة وفي أحد وجوه التفسير للكوثر أنه أعطاه من خيري الدنيا والآخرة، فيدخل في ذلك النبوة وختمها والقرآن والظهور على الأعداء ورفع الذكر وكثرة الأصحاب والأتباع والشفاعة والمقام المحمود والاستفتاح لدخول الجنة إلى غير ذلك، إذن أين المال وبسطة الدنيا من ذلك؟ المؤمن لا يقصد الدنيا وليست هي همه والرب تبارك وتعالى نبه إلى هذا في خطابه لنبيه ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ [الضحى:٤] وقال مخاطبًا الإنسان ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى:١٧] والنبي ﷺ اختار الآخرة على الدنيا لما خير بينهما، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كما في البخاري ومسلم أن النبي ﷺ جلس على المنبر فقال: ((إن عبدًا خيره الله تعالى بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عند فاختار ما عنده)) يعني النبي ﷺ بذلك بنفسه، ولهذا فالنبي ﷺ لم يؤتى الدنيا ولم يردها ﷺ، جاء عند الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ نام على حصير فأثر في جنبه فقال الصحابة رضي الله عنهم: لو اتخذنا لك يا رسول الله وطاء، فقال النبي ﷺ: ((ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها))، وجاء في مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنه كان يمر الهلال والهلال ولا يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار فقال عروة لعائشة: ما يعيشكم؟ فقالت: الأسودان التمر والماء، ولهذا فالمؤمن إذا ضاقت عليه الدنيا سلى نفسه بحال النبي ﷺ وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولو كانت كذلك ما سقى منها كافرًا قطرة أبدًا كما جاء عند ابن ماجه

والترمذي، وأيضًا يعلم المؤمن أن إيتاء الدنيا وأن إعطاء الدنيا أو الحرمان منها ليست معيارًا لمحبة الله تعالى فقد جاء عند أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: ((إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن يحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه)).

اللطيفة الثالثة عشرة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ تذكير بالنعمة وتنبيه على المنة وذلك أيضًا مثل قوله تعالى في سورة الضحى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى:٦-٨] وقال لنبيه ﷺ ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣] وإذا كان الله تعالى ذكر نبيه بنعمته فمن دونه من باب أولى، وهذا منهج القرآن في التذكير بنعم الله وهو منهج أنبياء الله ورسله فقد قال صالح عليه السلام لقومه ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٤] وقال هود لقومه ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩] وقال موسى لقومه ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:٢٠] وذكر الله عز وجل عباده بنعمته فقال ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦] وانظروا إذ قال الله عز وجل مذكرًا عباده بنعمته ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦] .

اللطيفة الرابعة عشرة قوله عز وجل فَصَلِّ لِرَبِّكَ بعد التذكير بعطاء الله والإخبار به إشارة إلى وجوب شكر النعم، والمعنى أعطيناك فاشكر ربك وقال سبحانه في هذه الآية فصل ولم يقل اشكر لأن موارد الصلاة هي موارد الشكر فموارد الشكر القلب واللسان والجوارح، كما قال القائل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة *** يدي ولساني والضمير المُحجبا

وكذلك أيضًا الصلاة فيها عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح.

اللطيفة الخامسة عشرة إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ فيه إشارة إلى العلاقة بين العطاء والصلاة وبين الرزق والعبادة، وقد أشار الله عز وجل إلى هذا في آيتين أو في موضعين من القرآن أما الموضع الأول فقوله عز وجل ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه:١٣٢] ومعنى الآية إذا أقمت الصلاة آتاك الله الرزق من حيث لا تحتسب، وجاءت في هذا أحاديث تؤكد هذا المعنى وتبين العلاقة بين العطاء والصلاة وبين الرزق والعبادة، ومن ذلك ما رواه ابن أبي حاتم أن النبي ﷺ كان إذا أصابه خصاصة نادى أهله: ((يا أهلاه صلوا صلوا))، قال ثابت: كانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة، وروى أحمد والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ

صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يديك شغلًا ولم أسد فقرك)) وجاء عند ابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((من جعل الهموم همًا واحدًا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله عزوجل في أي أوديته هلك))، وروى أحمد والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: ((من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له))، الآية الثانية التي تشير إلى العلاقة بين العبادة والرزق قوله عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] ففي هذه الآيات أمر الله عز وجل بعبادته وتكفل بأن يرزقهم وقد جاء في بعض الآثار أن الرب تبارك وتعالى يقول: (ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليكم من كل شيء).

اللطيفة السادسة عشرة قوله عز وجل إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ إشارة إلى فضل الصلاة وأهميتها ومكانتها ومنزلتها، لأن الله سبحانه وتعالى خصها بالذكر في هذه الآيات وفي هذا إشارة إلى أنها رأس العبادات.

اللطيفة السابعة عشرة قوله عز وجل فَصَلِّ لِرَبِّكَ إشارة إلى وجوب الإخلاص أي فصل لربك وحده لا شريك له وإذا كان رأس العبادة يجب أن يكون لله فما دونه من العبادات من باب أولى، وأشار الله عز وجل إلى هذا في قوله سبحانه ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

اللطيفة الثامنة عشرة قول عز وجل فَصَلِّ لِرَبِّكَ إشارة إلى علاقة التلازم بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية، أي فصل لربك الذي خلقك ورزقك وآواك وأنعم عليك وأعطاك وتفضل عليك وأغناك.

اللطيفة التاسعة عشرة أمر الله بالبذل والإعطاء في هذه السورة في قوله سبحانه إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ والمعنى أعطيناك فأعطى، والإعطاء جاء التعبير به في القرآن والسنة قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل:٥] وجاء في البخاري ومسلم ((ما من يوم يصبح فيه الناس إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفًا وأعط ممسكًا تلفًا)) وكان النبي ﷺ أكثر الناس عطاء، فقد جاء في حديث أنس في صحيح مسلم أن النبي ﷺ ما سئل عن الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة، وعطاء الله للعبد مرتبط بعطاء العبد للخلق، ولهذا قال النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر: ((أنفقي

ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك)) أخرجاه في الصحيحين يعني لا تمسكي فيمسك الله عنك.

اللطيفة العشرون قوله عز وجل وَانْحَرْ أمر بالبذل والإحسان وفيه أن إعطاء الله تعالى للعبد مرتبط بإعطاء اعبد للخلق لأن الله تعالى يقول ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فرتب على عطاء الله إقامته للصلاة وبذل المال للمحتاجين، وفي قوله وانحر أمر بإخراج الطيب من المال لأن النحر إنما يكون للإبل خاصة وهي من نفائس الأموال عند العرب وقيل في النحر أقوال أخرى.

اللطيفة الواحدة والعشرون قوله عز وجل ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ جمع سبحانه في هذه الآية بين أصلين عظيمين من أصول الدين، الأصل الأول: الإحسان في معاملة الحق تبارك وتعالى، والأصل الثاني: الإحسان إلى الخلق في قوله وانحر، فمن جمع بين هذين الأصلين فقد جمع الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

اللطيفة الثانية والعشرون قوله سبحانه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ تسلية للنبي ﷺ وبشارة له، لما يجده من أذية الكفار وتسلط الفجار بضمور ذكرهم وانقطاع أثرهم وهلاك نسلهم، ولماذا أفرد الله عز وجل رد أذية الكفار بالذكر على أنها تدخل في العطاء الذي ذكره الله عز وجل في أول السورة؟ لأن أذية الكفار يتكدر بها المؤمنون ويضيق منها الموحدون ويحزن لها المسلمون، وقد قال الله عز وجل لنبيه ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر:٩٧] وقال له أيضًا ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧].

اللطيفة الثالثة والعشرون قال عز وجل إِنَّ شَانِئَكَ الشانئ في الأصل اللغوي هو المتقذر من الشيء بغضًا له، ففي التعبير القرآني بالشانئ تضمين لمعنى التكبر والاستعلاء والإعراض والإيذاء والبغض والإزراء، وهذه المعاني تجدها في كل مبغض للرسول ﷺ وأتباعه إلى يوم الدين، وفي هذه الآية قال الله إن شانئك ولم يقل عدوك أو مؤذيك وإنما جاء بالباعث وهو البغض الذي يحمل على كل صور الإيذاء.

اللطيفة الرابعة والعشرون جاء قوله سبحانه إِنَّ شَانِئَكَ على وزن اسم الفاعل المفيد للحال والاستقبال ودوام التجدد، فإن المبغض للنبي ﷺ موجود في حياته وهو موجود بعد موته وهو موجود إلى قيام الساعة وهذا هو مقتضى التكليف والاختبار، ولهذا لا يتصور خلو الأرض من المعادين للنبي ﷺ وأتباعه إلى يوم الدين وهذه العقبة لا ينجو منها أحد، ولو نجا منها أحد لنجا منها أكرم الخلق وأفضل الناس وهم الأنبياء والرسل، ولهذا فالشيطان يسلط جنده وأتباعه من الإنس على المؤمن بأنواع الأذى، وهذه لا حيلة للمؤمن في التخلص منها إلا بالصبر والتقوى كما قال عز وجل ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:١٢٠].

اللطيفة الخامسة والعشرون قوله سبحانه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ حكم الرب وقضى وقال وأمضى وفرض وأجرى أن مبغض النبي ﷺ هو الأبتر أي المقطوع حسًا ومعنى من كل خير، ووكد سبحانه هذه الحقيقة بثلاثة مؤكدات، المؤكد الأول إن إِنَّ شَانِئَكَ فإن حرف توكيد، المؤكد الثاني الضمير المنفصل هو إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ وهي تفيد القصر فالأبتر هو مبغضك لا غيره، المؤكد الثالث قوله الأبتر ولم يقل المبتور لأن الأبتر صفة مشبهة على وزن أفعل تفيد الثبوت، فهي صفة لازمة له فالبتر والنقص صفة ملازمة لمبغض النبي ﷺ، وهذا بخلاف المبتور على وزن فعول فإنه يفيد الحدوث كالمهموم فإن الهم يحدث ثم يزول وكذلك المحزون فإنه يحدث ثم يزول.

اللطيفة السادسة والعشرون قوله تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ إشارة إلى أن كفاية الله لعبده من أذية الأشرار وكيد الفجار تكون بالإقبال على الطاعة والإحسان إلى الخلق كما قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩].

اللطيفة السابعة والعشرون قوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ الأبتر هو المنقطع العقب وقيل الأذل الأقل المنقطع ذكره وقيل المنقطع من كل خير في الدنيا والآخرة وهذا هو الصحيح، فالمبغض للنبي ﷺ وأصحابه محروم في الدنيا والآخرة فيبتر أهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة، وتبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود منها لمعاده، ويبتر قلبه فلا يعي الحق ولا يقبل الخير، وتبتر أعماله فلا يستعمله سبحانه في طاعته ويبتر من القرب والطاعات فلا يجد لها حلاوة ولا يذوق لها طعمًا، ويبتر من الأنصار فلا يجد ناصرًا ولا معينًا، فكل من أبغض النبي ﷺ وأتباعه فهذه عقوباته نعوذ بالله من ذلك.

اللطيفة الثامنة والعشرون ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ المراد به هو العاص بن وائل فإنه لما توفي عبد الله بن النبي ﷺ قال العاصي بن وائل بتر محمد، وقيل إنه لما توفي إبراهيم قال أبو جهل بتر محمد فأنزل الله ذلك، وقيل لما مات القاسم بن النبي ﷺ قال عقبة بن أبي معيط بتر محمد، وأصح ما جاء في ذلك ما رواه البزار بإسناد جيد أن كعب الأشرف قدم مكة فقال له كفار قريش ألا ترى لهذا المنبتر يعني النبي ﷺ يزعم أنه خير منا قال كعب الأشرف بل أنتم خير منه فأنزل الله هذه الآية، وهؤلاء الذين وصفوا النبي ﷺ بالأبتر انقطع ذكرهم وذهب أثرهم وبقي النبي ﷺ بذكره وأثره ودينه وأتباعه وذريته إلى قيام الساعة.

اللطيفة التاسعة والعشرون عاد الشانئ والمبغض للنبي ﷺ إلى المعايير المادية في التعامل مع النبي ﷺ والحكم عليه بأنه أبتر لأن أولاده ﷺ ماتوا في حياته، لكن لطف الله بعبده وعطاءه لنبيه يتجاوز ذلك ليكون عطاء الكوثر مقابلًا لوصف الأبتر ففتح الله لنبيه ﷺ من فتوح أبواب بقاء الذكر وعلو الشأن وارتفاع المنزلة ما لا يخطر على

بال، كانتشار ذريته من فاطمة رضي الله عنها وكثرتهم وظهور دينه والتأسي بسنته وكثرة أتباعه والمتسمين باسمه وقيام العلماء في أمته واقتران ذكره بذكر الرب جل جلاله في التشهد والأذان إلى غير ذلك من الصور العظيمة، وهذا يشير إلى أن الذي يملك رفع الذكر وخفضه هو الله تعالى وليس ذلك لأحد من البشر، ومع ما لاق النبي ﷺ من التنفير ووجده من التشهير والمبالغة في التعيير إلا أن ذلك لم ينل من مكانه العالي ومنزلته السامية.

اللطيفة الثلاثون ذكر الله تعالى في سورة الماعون قبلها صفات المعرضين عن دينه وذكر في سورة الكوثر أضدادها في نبيه ﷺ وأتباعه، أما الصفة الأولى فقد ذكر الله في سورة الماعون من صفات المعرضين عن دينه الدناءة واللؤم والشح في نفع الخلق فقال سبحانه ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:٢-٣] وقال ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٧] وذكر ضدها في قوله سبحانه ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أي أعطيناك لتعطي وفي قوله سبحانه وَانْحَرْ أي تصدق، الصفة الثانية الإعراض عن الصلاة والمراءاة فيها وقد ذكرها الله عز وجل في قوله ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون:٥-٦] وذكر ضدها في قوله سبحانه في سورة الكوثر فَصَلِّ لِرَبِّكَ وبهذا نكون انتهينا من ذكر ما يتعلق بتفسير سورة الكوثر.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.